دراسات فى العلوم الإنسانية
٣٣(١)، الربيع ١٤٤٧/١٤٠٥/٢٠٢٦، صص ٤٩-٦٥
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

فاعلية الرؤية البلاغية الجديدة في تحليل التماهي بين الحضارة الإسلامية والثقافة الإيرانية من منظور اللغة والشعر

فرشيد تركاشوند*

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني الدولية، قزوين، إيران

تاريخ الاستلام: ١٤٤٦/١٠/١٢ تاريخ القبول: ١٤٤٧/٤/٢٣

الملخص

يتجلى التفاعل بين الحضارة الإسلامية والثقافة الإيرانية فى مجالات مختلفة، إذ يستوعب العلوم المتنوعة كالفلسفة والتاريخ والجغرافيا والموسيقى والأدب والشعر. لكن يتضح هذا التجلي فى مجال اللغة بشكل خاص ولطيف. وهناك أشعار عربية وفارسية تتمتع فيها عناصر الثقافة العربية الإسلامية والإيرانية برؤية إنسانية عالمية، ونجد المضامين المشتركة فى مجال التصوف والعرفان والنزعات الإنسانية الشاملة أيضا. هذا التفاعل قد أدى إلى تداخل متكامل فى مجال الشعر كأهم عنصر ثقافى بينهما وبإمكاننا ان نجد التماهي فيه.و التماهي ودراسته يحتاان إلى تنظير خاص يركز على معالجة المعنى في الشعر. وإن القصد من كتابة هذه الدراسة هو أن نبين ونشرح كيفية التفاعل بين الحضارة الإسلامية والثقافة الإيرانية من خلال موضوع المعنى في الشعر القديم، ولاسيما شعر الشعراء الذين يشتهرون بالمعنى والحكمة والعرفان في الفترة العباسية، بالإستمداد من رؤية البلاغة الجديدة. إذن تتميز هذه الدراسة بمحورين رئيسين: الأول يتعلق بمستوى التنظير ونعني به البلاغة الجديدة ودورها، والثاني يتعلق بمستوى التطبيق و الإستمداد من البلاغة الجديدة في تحليل المعنى في الأشعار الحكمية والعرفانية لتحقيق الهدف الرئيس من الدراسة وهو الكشف عن دور اللغة و الشعر في دراسة التفاعل والتماهي بين الحضارة الإسلامية و الثقافة الإيرانية. نظرا إلى أهمية إتخاذ رؤية البلاغة الجديدة والتحليل الذي المستفاد منها على الأشعار، ستكون المنهجية تحليلية نقدية.

الكلمات الرئيسة: الحضارة الإسلامية، الثقافة الإيرانية، البلاغة الجديدة، المعنى، التماهي.

---

*. الكاتب المسؤول: Email: torkashvand@ikiu.ac.ir

المقدمة

للإيرانيين مشاركة عظيمة فی مجال تدوين علوم اللغة والبلاغة العربية منذ القدم، فأول معجم كتب فی العربية كان على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأول كتاب نحو كتب فی اللغة العربية هو «الكتاب» الذي ألفه سيبويه، وفي مجال البلاغة كتب الجرجاني كتابيه الشهيرين: «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة». ومن بين هؤلاء علماء إيرانيون خدموا اللغة العربية. ومما يهم كل من يبحث فی مجال الدراسات العربية أن يهتم باللغة الفارسية أيضا. هذه الأهمية تزداد من ناحية حضور الحضارة و الثقافة الإيرانية فی الأدب عامة، و في الشعر العربی القديم خاصة. ونعتقد بأن هذا التأثير قد انتهى إلى تعامل تام. إضافة إلى ذلك نرى بأن النزعة الإنسانية تحتل المكان الأول في التعامل الثقافي بين اللغتين العربية و الفارسية، والتعرف على هذه النزعة يفيد كل من يقوم بالدراسات العربية والإيرانية. لقد أدى حضور الحضارة الإيرانية فيي الثقافة العربية و التعامل بينهما ضمن الحضارة الإسلامية الراقية إلى تداخل وتعامل متكامل في مجال الشعر كأهم عنصر ثقافي كما أسلفنا. ويتضح هذا الحضور في مجالات مختلفة، منها الترجمة و النقل بين اللغتين. فالترجمة من الآثار الفارسية إلى العربية و من العربية إلى الفارسية قد أدت إلى إتساع اللغتين و آدابهما ومقدرتهما العلمية خاصة من ناحية الفكر و المضمون. و ذلك يتجلي في العصر العباسي أكثر من أي عصر آخر. إن أكثر ما نقل من الفارسية إلى العربية يتعلق بالحكم الإيرانية القديمة. ومن أهم المترجمين الإيرانيين القدامى نشير إلى ابن المقفع وسهل بن هارون اللذين قاما بترجمة أعمال أدبية مختلفة إلى العربية. هذا التداخل و التفاعل بين اللغتين العربية و الفارسية قد وصل إلى مرحلة نسميها التماهي، يتجلى ذلك فی أشعار نرى فيها الثقافة الإنسانية و العالمية.

الأسئلة:

١. ما دور البلاغة الجديدة كرؤية معنوية في دراسة الشعر، وكيف يتضح دورها في الإشعار الحكمية والعرفانية؟

٢. كيف وصل التعامل بين الحضارة الإسلامية و الثقافة الإيرانية إلى حد التماهي، وما دور الشعر الحكمي و العرفاني في تبيين هذا التماهي؟

الفرضيات:

١. للبلاغة الجديدة دور خاص في تحليل المعنى في الشعر، وستقدم لنا رؤية جديدة للكشف عن وجوه الجمال في المعنى.

٢. إن التركيز على أهمية اللغة والشعر كأهم عنصر ثقافي في دراسة العلاقة بين الحضارة الإسلامية والثقافة الإيرانية

والإستمداد من رؤية البلاغة الجديدة في تحليل المعاني والجمال فيها سيبينان وجوها من التماهي لم تتضح من قبل، وذلك يتأتي من خلال فاعلية المتلقي والنظر في الأنساق الفكرية والثقافية العميقة في الأشعار التي سنقوم بتحليلها.

خلفية البحث

هناک بحوث عديدة اهتمت بالبلاغة الجديدة وفروعها على مستوى التنظير، وفي مستوى التطبيق توجد بحوث اختصت ببعض النصوص الأدبية ولسنا بحاجة لذكر هذه البحوث.

هناك بعض الكتب عالجت البلاغة الجديدة على مستوى التنظير منها كتاب (بلاغة الخطاب و علم النص) للباحث المصري «صلاح فضل». فهو الكتاب الوحيد الذى تناول فيه مؤلفه البلاغة الجديدة من جانب رؤية لسانية تداولية. ومن الكتب الجديدة في هذا المضمار أيضا نذكر كتاب «بلاغت تصوير» باللغة الفارسية، للباحث الإيرانى «محمود فتوحى» والذي كتب فيه عن الصورة والرؤية في المدارس الأدبية المختلفة كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها. لكن هذه الكتب ــرغم أهميتهاــ قلما أشارت إلى دوري التلقي والمتلقي بل أغفلت جانب المتلقي ودوره الفاعل في الجمال المعنوي. نحن في هذه الدراسة لانتوقف عند حد الصورة الشعرية التي تعد محورا للبلاغة القديمة، بل قصدنا في الحقيقة شعرية المعنى في نطاق واسع رحب. هذه الكتب رغم أهميتها لم تختص بالمتلقي فى إطار رؤية جمالية متكاملة. وعاى الرغم من وجود دور هام للمتلقي في اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب أو ضمن نظريات أدبية كالتفكيكية والتأويل. فإننا لانريد أن نقوم بدور المتلقي في تلك النظريات، كما لانريد أن نكتب عن الخطاب والتفكيكية أو التأويل، بل غايتنا هي الكشف عن فاعلية المعنى في هذا المجال.

أما من ناحية المقارنة بين البلاغتين القديمة والجديدة هناك مقال باللغة الفارسية «بلاغت مخاطب و گفتگوى با متن = البلاغة و التخاطب مع النص» كتبه الباحث الإيراني «تقى پورنامداريان». في هذا المقال قام المؤلف بمقارنة الكلام الشفوي و المكتوب من منظور بلاغة المخاطب. فالباحث في هذا المقال يحاول أن يقول بأن البلاغة وصف للكلام والمتكلم في مجال البلاغة القديمة، كما هي وصف للمخاطب في البلاغة الجديدة. ونحن نوافقه في ما قاله عن البلاغة القديمة. ولكننا نعتقد بيأن البلاغة في الرؤية الجديدة وصف مشترك بين المتكلم و المتلقي ونؤكد على المعنى ودوره في البلاغة الجديدة وذلك ما نراه مؤصلا تنظيريا في مقال آخر وهو «بلاغة المخاطب بين القدم و الحداثة» الذي نشر في «مجلة اللغة العربية وآدابها» للباحث فرشيد تركاشوند، حيث قام فيه بالمقارنة بين البلاغتين مع نماذج من الشعر العربي و الفارسي القديم.

بالنسبة إلى أهمية هذا البحث، فنحن نعتقد بأن الجمال في هذه الرؤية الجديدة لاينحصر في مفهوم واحد، بل

يتحول بمدى التحول الموجود في النصوص المختلفة ،كما يتحول أيضا بمدى إتساع رؤية المتلقي، و ذلك في الحقيقة يحملنا على أن نتخذ رؤية جديدة للتذوق الجمالي حيث ترافق الأنساق الثقافية والحضارية الموجودة عندنا. لكنه في مجال التطبيق على الفكر و الثقافة، لم نجد شيئا وخاصة فيما يتعلق بالمقارنة بين الحضارة الإسلامية والثقافة الإيرانية من منظار هذه النظرية الجديدة الخاصة التي تتمتع بمعطيات عديدة من فروع اللسانيات و الفلسفة. إذن تعد هذه الدراسة الوجيزة بمثابة دراسة تأسيسية في هذا المجال وعسى أن يرتقي الدراسات من مثلها شيئا فشيئا في المستقبل القريب.

١. البلاغة الجديدة و دورها في توسيع دراسة المعنى في الشعر

يعد مفهوم الجمال أول ما يفكر فيه الإنسان عند مواجهته عملا أدبيا. فالجمال في الأدب والشعر هو المحور الرئيس في الدراسات البلاغية القديمة منها والجديدة. ويتجسد هذا المفهوم في مجال علم البيان من البلاغة القديمة فينحصر في الصور البيانية كالتشبيه والإستعارة والمجاز. في حين أن الجمال في الرؤية البلاغية الجديدة تمتد آفاقه إلى مجال المعنى المفتوح وبهذه الرؤية الجديدة وأثناء إهتمامها بالمعنى، يتضح دور المتلقي الفاعل في تكوين المعنى والجمال.

الإتساع في مفهوم الجمال والمعنى هو المقصود والمراد في هذا القسم. هذا الإتساع هو الذي يقصده «صلاح فضل» و يعتقد بأنه قد حدث في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين (فضل، ١٩٩٢: ٦٥). يعتقد صلاح فضل «بأن مجموعة الخصائص التي تنظم الخطاب الأدبي لاتنتمي كلها إلى مجال اللغة، فالقواعد العرفية، وشروط تأويل الدلالة والإشارة السيميولوجية والمفاهيم التي تستخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفعية قد اندمجت كلها بسلاسة في مهمة تحليل الخطاب الأدبي. (المصدر نفسه: ١١). والبلاغة الجديدة هي مجموعة من العلوم اللسانية والأدبية التي تساعد على فهم المعاني الخفية الجميلة في بطن الخطاب. فعلينا أن نتحدث عن الخطاب لا النص، لأن لفظة الخطاب هي حصيلة رؤية متكاملة للنص. والمتلقي في البلاغة الجديدة لاينظر إلى الصور الشعرية بل هو ينعم النظر في معنى المفردات الشعرية و البنيات، ويحلل المعاني بالاتكاء على ما يعلمه من الأنساق الفكرية والثقافية عن الشاعر ونصه.

الجمال في الرؤية البلاغية القديمة يخلقه المتكلم أو الكاتب، والمخاطب يقرأه كما صوره المتكلم، يعنى في الواقع للمتكلم سلطة جمالية وللمخاطب فاعلية ضيقة في مجال المعنى والتذوق الجمالي. ينحصر التذوق الجمالي هنا في الصور البيانية التراثية كالتشبيه والإستعارة والمجاز برؤية تجزيئية. هذا وقد خرج الجمال ومفهومه من ضمن سلطة المتكلم في البلاغة الجديدة كما تحرر من انحصار الصور التراثية. فنظرا إلى هذه الرؤية الجديدة، تحدث البلاغة فى فضاء المعنى الواسع الرحب. إذن، نستنتج بأن مفهوم الجمال فى الرؤية البلاغية الجديدة يتسع على مدى إتساع المعنى والتفكير من جانب المتلقي، والمتلقى هنا كخالق نص جديد أو كمشارك في خلق الخطاب. أما بالنسبة إلى السياق نشير إلى أن للأنساق الثقافية والفكرية الأهمية الكبرى في التلقي الحداثي في حال أن للسياق في الرؤية القديمة نطاقا ضيقا، حيث

ينحصر في النظر إلى مقتضى حال المخاطب من جانب المتكلم لا المتلقي. فبهذا كله أمكننا القول بأنه قد تكون مفهوم فلسفي للجمال يسمى فلسفة الجمال، والعبارة نفسها تعطي للبلاغة آفاقا رحبة مفتوحة إلى الأبد. حيث تخرج البلاغة من الرؤية التجزيئية إلى رؤية كلية شاملة تجاوزت الرؤية الكلية فى البنيوية إلى عالم الخطاب المفتوح.

أما من الوجهة التاريخية، فقد نشأت البلاغة الجديدة من نهايات الخمسينات و اجتازت ثلاث مراحل: المرحلة الأولى كانت تؤكد على العلاقات اللغوية وعلى المنطق والإقناع حيث تواصلت حتى نهايات الثمانينيات. والمرحلة الثانية بدأت من أواسط التسعينيات متأثرة بالبنيوية الشكلية، لكن المرحلة الثالثة وهي الأخيرة قد تجاوزت البنيوية ووصلت إلى السيميائية و التداولية» (المصدر نفسه: ۶۵ و ۶۷). ومن الواضح أن المرحلة الثالثة تشبه «نظرية التعامل» (التعامل بين المتلقي والخطاب) لأن التداولية تعتبر نقطة الإشتراك بينهما حيث تساعد على تكوين التجربة الجمالية(في الشعر).ومن الواجب أن نشير إلى أن البلاغة الجديدة و ظرية التعامل قد تكونتا في أجواء فلسفية واحدة وهي الفلسفة الوجودية عند هايدغر[1] و الفينومينولوجيا عند هوسرل[2]. وبالنسبة إلى نظرية التعامل نشير إلى أن القصد منها هو التعامل بين المتلقي والنص ضمن الخطاب وكثيرا ما اهتم الباحثون بهذه النظرية ضمن الدراسات التي تتعلق بسيميائية الخطاب. فالقصد من التعامل هنا هو العلاقة الجدلية بين الذات[3] والموضوع[4] أو الذاتية والموضوعية وهذه العلاقة هي الأساس في رؤية تحليل الخطاب والفينومينولوجيا. يعتبر التعامل بين الذات و الموضوع مرحلة الإنتقال من الرؤية البنيوية و الفلسفة الوضعية[5] إلي فلسفة الوجودية[6] و الفينومينولوجيا[7] خاصة في آراء هايدغر و هوسرل. (تركاشوند، ۱۳۹۹: ۱۷۵). تقوم نظرية التعامل «بكشف المعاني الخفية والتعبير عنها بواسطة اللغة» (شعيرى، ۱۳۸۵: ۱۳) وبناء على هذا، يمكننا القول بأن رؤيتنا هذه تبحث عن عمق المعنى، والحصول على المعنى المزيد يوفر مزيدا من الجمال أيضا. إلى جانب هذا، يتمتع التعامل أيضا برؤية فلسفية وخاصة الفينومينولوجيا الذي يغير تفكيرنا ونظرنا في الأشياء والمعنى والجمال.

۲. الشعر في الفترة العباسية الأولى و دوره في تماهي الثقافات

تميز العصر العباسي عما قبله بالتطور الحضاري والمتزاج العرقي والحرية النسبية، وانعكس ذلک على الأدب عامة وعلى

1. Heidegger
2. Husserl
3. Subject
4. Object
5. Positivism
6. Existentialism
7. Phenomenology

الشعر بنحو خاص. فنلاحظ في الشعر: رقة العبارة، والمعاني اللطيفة المبتكرة، والصنعة اللفظية البديعية، واستعمال الألفاظ الأجنبية وخاصة الفارسية. (آذرشب، ١٣٨٥: ٤٧). ومما يهمنا في هذه الفترة إضافة إلى النمو الفكري والثقافي والحضاري هو الإمتزاج بين الأمم من نواحي مختلفة، خاصة اللغوية والأدبية، كما كان بين اللغتين العربية والفارسية، لهذا نركز على المعنى والثقافة والفكر الموجود في نماذج من الأشعار العربية والفارسية وأهمية التبادل الثقافي من هذا المنظور.

أدى الامتزاج الاجتماعي الكبير بين العرب والإيرانيين في معظم بقاع إيران (وخاصة في خراسان) وكذلك في العراق إلى امتزاج لغوي، فقد انكب الإيرانيون على اللغة العربية وتأثرت لغتهم بها أيما تأثر، كما تعلم العرب اللغة الفارسية وتمازجت اللغتان، وظهر (ذو اللسانين) من المؤدبين والكتاب والشعراء والقصاصين. (المصدر نفسه: ٣٨).

وهناك مضامين مشتركة جميلة بين الشعراء، التى تتعلق بثقافة الشاعر بشكل خفي وجميل، مثلا عندما يقول الشاعر بشار بن برد:

لم يطل ليلى و لكن لم أنم و نفى عني الكرى طيف ألم

(أفرام البستاني، ١٩٩٨، ج٤: ١٩).

فهذا البيت تعبير جميل عن الكرى بسبب العشق وهذا المضمون قد عبر عنه الشاعر الإيراني الشهير سعدي الشيرازي أيضا فى البيت الآتي:

سر آن ندارد امشب كه برآيد آفتابى چه خيال ها گذر كرد و گذر نكرد خوابى

(سعدي، ١٣٨٨: ٧٩٩).

(لاتطلع الشمس الليلة / مرت أطياف و ما مر اللنوم بعيوني)

أو عندما يقول إمرؤ القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(الزوزني، ٢٠٠٢: ٣٥).

فقد تأثر سعدي الشيرازي بهذا البيت أيضا وعبر عن المعنى ذاته قائلا:

بگذار تا بگرييم چون ابر در بهاران كز سنگ ناله خيزد روز وداع ياران

(سعدي، ١٣٨٨: ٤٥٠).

(دعنا نبك كالسحب الربيعية حيث يئن الحجر يوم وداع الأحبة)

٣. الفترة العباسية الثانية ودور الشعر الصوفي

تعد الأشعار الصوفية في الأدب العربي القديم نماذج مناسبة للتحليل على ما أسلفناه في مجال التنظير، حيث

ستتضح قواسم مشتركة بشكل أوسع بعد التحليل والمقارنة مع الأشعار الصوفية الفارسية، لكن ليس القصد أن نعدد هذه القواسم أو نقدم بحثا يخص مجال الأدب المقارن، بل قصدنا هو أن نشير إلى الحقيقة الواحدة التي يبحث عنها كل شاعر صوفي بلغته الراقية. وللكشف عن هذه الحقيقة نحتاج إلى الرؤى التي لاتقف عند حد اللغة والنظرة التجزيئية القديمة، بل تحتاج إلى ما نسميه جمال المعنى وذلك لايمكن تحليله إلا برؤية البلاغة الجديدة.

يقول إبن فارض في قصيدته(التشوق إلى المشاهدة):

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظي هواك تسعرا
و إذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى
يا قلب أنت وعدتني في حبهم صبرا فحاذر أن تضيق وتضجرا
إن الغرام هو الحياة فمت به صبا فحقك أن تموت وتعذرا
قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدي ومن أضحي لأشجاني يرى
عني خذوا، وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بصبابتي بين الورى
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم إذا سرى
و أباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا
فأدر لحاظك في محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا
لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه كان مهللا ومكبرا

(أفرام البستاني، ١٩٩٨: ٣٢١).

ليست المشاهدة في هذه الأبيات إلا "الفراغ اللغوي" الذي يعد فجوة بين الشاعر والمتلقي من جهة وبين العالم بأكمله من جهة أخرى. هذا الفراغ هو الحقيقة التي يحاول الشاعر التعبير عنها. تعد هذه المعاني التي يخلقها الشاعر من خلال مفرادته العرفانية رؤى الشاعر الخاصة لمواجهة الأشياء حيث يمكن تحليلها من منظور الفينومينولوجيا. فالشاعر يفكر في الأشياء ويحاول أن يعبر عنها تعبيرا يرسم عالمه الجديد. هذا كله تعبير عن العشق كما يقول جلال الدين الرومي (المولوي) في الشطر الثاني من البيت التالي، والعشق كما سنبين فيما بعد ليس إلا المحبة الإلهية حيث تكونت ضمن الثقافة الإسلامية:

پارسی گو گر چه تازي خوشتر است عشق را خود صد زبان ديگر است

(أنشد الشعر باللغة الفارسية وإن كانت العربية هي الأحسن، هناك مائة لغة أخرى تعبر عن العشق)

يقول ابن الفارض في خمريته:

شـــربنـا عـلـى ذكـر الحـبـيـب مـدامـة ســـكـرنا بهـا مـن قـبـل أن يخـلـق الـكـرم
لهـا الـبـدر كـأس وهـى شمـس يـديـرهـا هـلال و كـم يـبـدوا إذا مـزجـت نجـم
ولـولا شـــذاهـا مـا اهـتـديـت لحـانهـا ولـولا ســـنـاهـا مـا تصـــورهـا الـوهـم
ولم يبق منهـا الـدهر غير حشـــاشـــة كـأن خـفـاهـا في صـــدور الـنـهـى كـتـم
فـإن ذكـرت في الحـي أصـــبـح أهـلـه نشـــاوى ولاعـار عـلـيـهـم ولا إثم
و من بين أحشـــاء الـدنان تصـــاعـدت ولم يـبـق مـنـهـا في الحـقـيـقـة إلا اســـم
وإن خـطـرت يـومـا عـلـى خـاطـر امـرئ اقـامـت بـه الأفـراح وارتحـل الهـم
ولـو نـظـر الـنـدمـان خـتـم إنائـهـا لأســـكـرهـم مـن دونهـا ذلـك الخـتـم
ولـو نضـــحـوا مـنـهـا ثـرى قـبر مـيـت لـعـادت الـيـه الـروح وانـتـعـش الجسـم
ولـو طـرحـوا في فيء حـائـط كـرمـهـا عليلا وقـد أشـــفى لفـارقـه الســـقـم...

في الأبيات الآنفة، يبحث ابن الفارض عن الخمرة العرفانية كرمز للحقيقة. والبحث نفسه يعد ذلك الفراغ الوجودي الذى قد أشرنا إليه سابقا كما يعنى هذا البحث محاولة الشاعر للكشف عن الحقيقة المشتركة عند كل واحد من هؤلاء الشعراء، فلذلك نرى مشابهة جميلة بين هذه الأبيات وأشعار الشعراء الآخرين. على سبيل المثال نتناول المشابهة بين البيت التاسع(ولو نضحوا...) و البيت التالي من المثنوي المعنوي:

مرده بدم، زنده شـــدم،گريه بدم، خنده شـــدم دولت عشـــق آمد و من دولت پاينده شـــدم

(كنت ميتا فأصبحت حيا، كنت بكاء فأصبحت ضاحكا، جاءت دولة العشق وأنا أصبحت الدولة الدائمة)

ابن الفارض في البيت التاسع والمولوي في هذا البيت كلاهما يبحثان عن حقيقة واحدة. ومن منظور هذه الدراسة، الحقيقة هنا ليست إلا ذلك الفراغ الوجودي الذي يبحث عنه الشاعر بلغته الراقية، ولغة الشعر هنا تعد استعارة عن الحقيقة والوجود. بالنسبة إلى التفاعل والفينومينولوجيا، المهم هو العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع، الذات هنا هو الوجود في تفكير الشاعر، الذي يتكون عند تعامل الشاعر مع الحياة. والموضوع هو لغة الشاعر خاصة رمز الخمرة التي تعد استعارة. يتكون المعنى عند هذا التفاعل ويتكثر كما يتمتع بالحيوية. (تركاشوند، ١٣٩٩: ١٧٧ إلى ١٧٩). كل

ذلك لايتأتى إلا من خلال فاعلية المتلقي التي تعتبر أساسا للبلاغة الجديدة. المتلقي هنا يبحث ويخلق ضمن أجواء واسعة تمتد أفاقها بامتداد الخطاب والتفاعل.

هذه المضامين موجودة بأشكال مختلفة في الأشعار العربية والفارسية، وهذه المسألة تؤكد أهمية تعليم اللغتين معا. نعتقد بأن التداخل والتفاعل بين اللغتين العربية والفارسية قد وصلا إلى مرحلة ،نسميها التماهي"، وفي مجال الأدب، يتجلى ذلك في أشعار نرى فيها الثقافة الإنسانية والعالمية. من أهم هذه المضامين هو المفهوم الأزلي للحب. على سبيل المثال يقول "سعدي شيرازى" في البيت الآتي:

همه عمر برندارم سر از اين خمار مستى كه هنوز من نبودم كه تو در دلم نشستى

(سعدي، ١٣٨٨: ٧٨١).

(طوال عمري لن أرفع رأسي من خمار هذه السكرة فلم أكن موجودا بعد حين جلست في قلبي)

يفكر المتلقي في معنى البيت وخاصة الشطر الثاني منه فيجد من خلال تحليل علاقة لفظة «هنوز من نبودم= لم أكن موجودا بعد» و لفظة «تو در دلم نشستى=جلست في قلبي» علاقة تدل على مفهوم أزلي للحب، بحيث كلما فكر المتلقي في هذه العلاقة أكثر فأكثر اتسع البعد وتلك الأزلية. كل هذا يجعل المتلقي يفكر في المعنى وفي الشعرية والجمال الناتج من هذا البيت. هذا المعنى هو أزلية الحب ونراه إلى جانب وحدانية المعشوق ووجوده الأزلي في البيت الثاني من هذا الغزل حيث يقول:

تو نه مثل آفتابى كه حضور وغيبت افتد دگران روند وآيند وتو همچنان كه هستى

(المصدر نفسه: ٧٨١).

(أنت لست كالشمس التي تشرق وتغيب يأتي الآخرون ويرحلون وأنت باق كما أنت)

إن وجود المعشوق الدائم رغم الحضور والغياب من قبل العشاق في الشطر الثاني من هذا البيت يدل على الجمال المطلق لأن وجوده يساوي الجمال وهذا الجمال لايتصف بالزمن. وذلک يشبه قول الشاعر العارف المصري "ابن الفارض" في مطلع خمريته حيث يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فلفظة "مدامة" تعني محبة دائمة من جانب الله لروح العارف، وكلمة "سكرنا" تعني التوجه إلى عالم المحبة والفناء في الله، وهي الحال التي تشبه السكر. وقد استخدم العديد من العرفاء هذا المفهوم للسكر. أما جملة "سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم" فتدل على مفهوم أزلي لحب الله في روح الإنسان قبل أن تنزل هذه الروح في الجسم، فلفظة "من

قبل"كلفظة "هنوز" فی بيت سعدي. هذه اللفظة إلى جانب التركيبين الذين أشرنا إليهما تدل على بعد الزمان في أزلية الحب، بحيث كلما فكر المتلقي في هذا الإبتعاد زاد من مسافة هذه الأزلية وامتدادها. هذا الامتداد هو ما ينتهي إلى تعاقب المعاني، وخلق المعاني لا يتوفر إلا ضمن تفاعل المتلقي والخطاب. وهذه كلها وجوه جميلة من ذلك التفاعل والتماهي الذي أشرنا إليه آنفا.

٤. المعاني الإنسانية العالمية، المتنبي و سعدي الشيرازي كنموذجين

يعد المتنبي من فحول الشعراء في الادب العربي، كما يعد سعدي الشيرازي أيضا من فحول الشعراء الفرس، لما لديهم من المعاني الحكمية والإنسانية الواسعة. ونجد مشابهة في المعاني الموجودة في شعرهما، وهي مشابهة أشار إليها كثير من الباحثين العرب والإيرانيين، فكتبوا عن أثر المتنبي وشعره على ما أنشده سعدي الشيرازي ، حتى قام بعض هؤلاء الباحثين بالتأليف في هذا المجال. ونحن لانريد هنا أن نتقصى وجوه المشابهة هذه، أو نشير إلى ما أنشده سعدي تأثرا بالمتنبي، بل قصدنا هو تحليل أثر الحضارة الإسلامية عليهما في خلق المعاني العميقة الإنسانية والواسعة. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل بالاستمداد من النظريات اللسانية الجديدة، لاسيما البنيوية والهرمنوطيقا " التأويلية" في مقال نشر في إحدى المجلات المحكمة الفارسية. (أنظر: تركاشوند، ١٣٩٧). إذن، نكتفي بتحليل نموذجين من الشاعرين مؤكدين على ما خلقاه من المعاني الأنسانية القيمة ضمن الحضارة الإسلامية، وهي المعاني الحية التي يستحضرها المتلقي في كل زمن ومكان، إذ تصطبغ بالحكمة عند المتنبي و بالعشق الإلهي عند سعدي الشيرازي.

يقول المتنبي في الحكمة:

الهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق ينسى الذى يولي وعاف يندم
لايخدعنك من عدو دمعه وارحم شبابك من عدو ترحم
لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
يؤذي القليل من اللئام بطبعه من لايقل كما يقل و يلؤم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

(المتنبي، ٢٠٠٢: ١١٤٢ _ ١١٤٣).

إن كل ما نتلقيها من المعاني في الأبيات الآنفة يقع ضمن مضمون الحكمة، وهي معان لاتختص بزمن أو مكان

معينين، فلم تنشد هذه الأبيات ضمن ثقافة الشعر الجاهلي وخصائصه، إذ لاتصف البيئة الجاهلية بما فيها من العناصر كالأطلال أو الناقة أو المعشوق والطبيعة كما لاتخبر عن نزعات قومية وقبلية أو سياسية، بل تخبر عن معان ولدت في رحم الثقافة الإنسانية الراقية التي نشأت في العصر العباسي من خلال الامتزاج الثقافي والحضاري حيث تكونت عناصرها من العقلية والمدنية المتعددة وكل ذلك ما كان ليتكون إلا ضمن بيئة الحضارة الإسلامية.

ويقول سعدي الشيرازي في العشق:

چنان در قيد مهرت پايبندم كه گويى آهوى سر در كمندم

(انا اسير محبتك حيث كأني غزال عالق في حبل المشنقة)

گهى بر درد بى درمان بگريم گهى بر حال بى سامان بخندم

(ابكي لدائي العضال حينا وأضحك من حالي السيئ حينا آخر)

مرا هوشى نماند از عشق و گوشى كه پند هوشمندان كار بندم

(لم يبق لي من العشق وعي ولاسمع لأعمل بنصح العقلاء)

مجال صبر تنگ آمد به يكبار حديث عشق بر صحرا فكندم

(ضاق صبري دفعة واحدة فأفشيت حديث العشق للصحراء)

نه مجنونم كه دل بردارم از دوست مده گر عاقلى اى خواجه، پندم

(لست مجنونا لأصرف قلبي عن الحبيب فلا تعظني ياصاح إن كنت عاقلا)

چنين صورت نبندد هيچ نقاش معاذ الله من اين صورت نبندم

(لايرسم هذا الوجه أي رسام معاذ الله أتخيل مثل هذه الصورة)

چه جانها در غمت فرسود وتنها نه تنها من اسير ومستمندم

(كم من الأرواح تعبت في حزنك وأنا لست وحدي أسيرك المسكين)

تو هم بازآمدى ناچار وناكام اگر باز آمدى بخت بلندم

(لقد عدت في النهاية طائعا أو كارها أيها الحظ بالرغم من كل شيء)

گر آوازم دهى من خفته در گور برآساید روان دردمندم

(لو ناديتني و أنا ميت في القبر لاستراحت روحي الموجوعة)

سرى دارم فداى خاک پايت گر آسايش رسانى ور گزندم

(لي رأس أفتديه لتراب قدميك سواء منحتني الراحة أو ألحقت بي الأذى)
وگر در رنج (سعدى) راحت توست من اين بيداد بر خود مى پسندم
(سعدي، ١٣٨٨: ٦٩٧).

(وإن كانت راحتك في عناء سعدي فأنا راض بهذا الجور على نفسي)

إن ما نتلقاه من معان في الأبيات الآنفة كلها تتعلق بالحب العرفاني وما يرسمه الشاعر من المحبة بين الإنسان وربه. وقد نشأت هذه المعاني العرفانية العميقة ضمن العرفان الإسلامي والثقافة الإسلامية. وإضافة إلى المعاني، نجد مفردات عربية موحية فيها، حيث قام الشاعر بشحن هذه المفردات بمعان عرفانية عميقة نتلقاها بمعونة السياق الثقافي الموجود في الخطاب. هذه الأنساق الفكرية والثقافية قد نشأت ونمت بالاستمداد من تعاليم الإسلام والحضارة الإسلامية الراقية. على سبيل المثال كلمة (مهر = المحبة) مفردة فارسية لها معنى يتعلق بالحضارة الإيرانية القديمة، لكنها اقترنت في النص بالسياق الإسلامي ضمن العرفان الإسلامي، وأصبحت مرادفة لكلمة المحبة في السياق العرفاني الإسلامي. أو كلمة (دوست = الحبيب) إذ تتخذ هذه الكلمة الفارسية معناها الثقافي من السياق الثقافي في نص الشعر، فهذه الكلمة ليست بمعنى الحبيب بمعناه العام بل هي تعني من اقترب العارف منه محبة في مراحل سلوكه، فكلمة (دوست) هنا تعني الرب تبارك وتعالى. هناك مفردات كثيرة في الأشعار العرفانية الفارسية العربية استخدمت بمعان مشابهة بين اللغتين العربية والفارسية، وما هذا ألأ نتيجة للتفاعل بين الثقافتين العربية والفارسية ضمن الحضارة الإسلامية. على سبيل المثال نلاحظ كيف عبر الشاعران ابن الفارض المصري وحافظ الشيرازي عن معنى واحد في البيتين:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
در ازل پرتو حسنت ز تجلى دم زد عشق پيدا شد و آتش به همه عالم زد
(ظهرت أشعة حبك في الأزل وبدأ العشق وأحرق العالم بأسره)

كلاهما يعبران عن معنى واحد ضمن العرفان الإسلامي وهو معنى الحب الإلهي الأزلي. فهما بمثابة روح واحدة في جسدين " أي اللغتين".

النتيجة

بناء على ماتقدم تنظيرا وتطبيقا، يضح بأن رؤية البلاغة الجديدة قد أدت إلى إظهار المعاني الخفية الكامنة في الخطاب الشعري، وهذه المعاني أيضا تؤثر في التذوق الجمالي لدى المتلقي من جانب، حيث تمكنه من خوض تجربة جمالية جديدة. فكلما اتسع التفكير غدا المعني مثمرا و متجدداا، مما يؤدي إلى اتساع التفكير ويزداد من فاعلية الوظيفة الثقافية

للشعر. الجمال وفق هذه الرؤية لايبتنى على الصور والخيال فحسب، ولا يتوقف عند حدود اللغة، بل يلج عالما معنويا حيا لانهائية له، ومن هذا المنطلق، يمكننا أن نعرف آفاق العوالم الإبداعية للشعراء الكبار كسعدي الشيرازي، وحافظ الشيرازي، وابن فارض وغيرهم. إنتفاوت اللغتين العربية والفارسية في هذا السياق لا يشكل حاجزا، بل هو عامل محفز للنمو اللغوي والثقافي في الشعر ولتحقيق الأجواء الرحبة في فضاء الثقافة الإنسانية. ومن هنا نؤكد على دور التفاعل الثقافي والأدبي المثمر بين الإيرانيين والعرب ضمن الحضارة الإسلامية التي مهدت الطريق للنمو الفكري والثقافي لدى الشعراء العرب والفرس على حد سواء. فإذا أنعمنا النظر في المعنى واتخذنا رؤية فاعلة كالبلاغة الجديدة _كما فعلنا في هذا البحث_ فسنقف حينئذ على آفاق جديدة من عالم المعنى، يظهر من خلالها ذلك التفاعل الذي وصل إلى حد التماهي بين الثقافتين العربية الإسلامية والإيرانية. إذن، لاتنحصر فائدة هذا التعامل والتماهي _من منظور اللغة والشعر_ في إثراء المعجم وتوسيع عدد المفردات في اللغتين، بل تتعدى ذلك إلى شحن المفردات بمعان ثقافية وحضارية عميقة، فيها كما بينا في تحليلنا للنموذجين: كلمة (مهر = المحبة) وكلمة (دوست = الحبيب) في سياقهما الثقافي الخاص، مؤكدين أن ذلك السياق لا يتخلق إلا في بيئة الثقافة والحضارة الإسلامية الراقية.

المصادر والمراجع

الكتب

- آذرشب،محمد على، **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي**، ايران ،طهران، سمت، ١٣٨٥هـ.ش
- أفرام البستاني، فؤاد، **المجاني الحديثة**، المجلد الثالث، ايران، قم، ذوي القربي،الطبعة الرابعة ١٩٩٨ هـ.ش
- سعدى،**كليات**، تحقيق فضل الله دروش، تهران، نگاه، ١٣٨٨ هـ.ش
- شعيري، حميد رضا، **تجزيه و تحليل نشانه ـ معناشناختي گفتمان**، إيران، طهران، سمت ١٣٨٥ هـ.ش
- الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، لبنان، بيروت، دار احياء التراث العربى ٢٠٠٢
- فتوحى رودمعجنى،محمود(١٣٨٩). *بلاغت تصوير*.سخن.الطبع الثانى
- فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب و علم النص**، الكويت، عالم المعرفة،١٩٩٢
- المتنبى، **الديوان**، شرح عبدالرحمن البرقوقى، مكة المكرمة، دارالفكر، ٢٠٠٢

المقالات

- تركاشوند، فرشيد(١٤٣٨). «بلاغة المخاطب بين القدم و الحداثة» ، مجلة اللغة العربية و آدابها، سنة ١٣، عدد١

- ترکاشوند،فرشید،«تعامل المتلقي في التحليل الفينومينولوجي للخطاب الشعري: نماذج من الشعر الصوفي العربي و الفارسي القديم»، بحوث في اللغة العربية و آدابها، ايران، إصفهان، ١٣٩٩ هـ.ش
- ترکاشوند، فرشید، «عیار صفت سهل ممتنع در شعر سعدی و متنبی: از ساختارگرایی تا هرمنوتیک فلسفی»، پژوهش های ادبیات تطبیقی، ایران، طهران، ١٣٩٧ هـ.ش
- پورنامداریان،محمد تقی(لاتا).*«بلاغت مخاطب و گفتگوی با متن»*.نقدادبی. السنة الأولی.العدد الأول

References

Books:

- Azarshab, Mohammad Ali, History of Arabic Literature in the Abbasid Era, Iran, Tehran, Samt, 1385
- Afram al-Bustani, Fuad, Majani al-Hadisah, Volume 3, Iran, Qom, Zavi al-Qurba, Fourth Edition, 1998
- Fotuhi Rudma'jani, Mahmoud ,The rhetorics of Imagery, Second Edition,1389
- Fadl, Salah, The rhetorics of Discourse and Textual Science, Kuwait, Alam Al-Ma'rifah, 1992
- Saadi, Kulliyat, edited by Fadlullah Dorwaash, Tehran, Negah, 1388
- Shaairi, Hamid Reza, Discourse semantics, Iran, Tehran, Samt, 1385
- Al-Mutanabbi, The Diwan, Commentary by Abd al-Rahman al-Barquqi, Mecca, Dar al-Fikr, 2002
- Al-Zowzani, Sharh al-Mu'allaqat al-Saba'*, Lebanon, Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 2002

Papers:

- Torkashvand, Farshid (1438). “The Rhetorics of the Reader between Tradition and Modernity,” Journal of Arabic Language and Literature, year 13, issue 1.
- Torkashvand, Farshid, “Interaction of the reader in the phenomenological analysis of the poetry discourse (Examples of Mowlavi,Ebn-Farez,Hafez Shirazi),” Research in the Arabic Language and Literature, Iran, Isfahan, 1399.
- Torkashvand, Farshid, “The criteria of inimitable simplicity of adjectives in

Saadi and Al-Mutanabbi: From Structuralism to Philosophical Hermeneutics," in Comparative Literature, Iran, Tehran, 1397.
- Pournamdarian, Muhammad Taqi . "The Rhetorics and communication with text." Naqd adabi. First year, first issu

The Effectiveness of the New Rhetorics in analyzing the Convergence between Islamic Civilization and Iranian Culture from the perspective of Language and Poetry

Farshid Torkashvand*

Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature Imam Khomeini International University

Received date: 2025-04-11 Accepted date: 2025-10-16

The interaction between Islamic civilization and Iranian culture is evident in various fields, encompassing diverse disciplines such as philosophy, history, geography, music, literature, and poetry. However, This interaction is particularly pronounced and subtle in the realm of language. There are Arabic and Persian poems in which the interplay of Arab-Islamic and Iranian cultural elements is imbued with a universal humanistic vision, and we find shared themes in Sufism, mysticism, and universal humanistic aspirations. This interaction has led to a seamless integration in poetry, the most significant cultural element between them, and we can even discern a degree of convergence. The study of identification requires a specific theoretical framework that focuses on addressing meaning in poetry. Our aim in writing this study is to demonstrate and explain how Islamic civilization and Iranian culture interact through the theme of meaning in classical poetry, particularly the poetry of poets renowned for their wisdom, mysticism, and spiritual insight during the Abbasid period, drawing upon the perspective of the new rhetorics. This study is thus characterized by two main axes: the first relates to the theoretical level, namely the new rhetorics and its role, and the second relates to the practical level and the application of the new rhetorics in analyzing meaning in wisdom and mystical poetry to achieve the main objective of the study, which is to reveal the role of language and poetry in studying the interaction and convergence between Islamic civilization and Iranian culture. Given the importance of adopting the perspective of the new rhetorics and the analysis it provides for poetry, the methodology will be analytical and critical.

Keywords: Islamic civilization, Iranian culture, New rhetorics, Meaning, convergence

* Corresponding author, Email: torkashvand@ikiu.ac.ir

نقش رویکرد بلاغت جدید در تحلیل همگرایی تمدن اسلامی و فرهنگ ایرانی از منظر زبان و شعر

فرشید ترکاشوند*

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بین المللی امام خمینی، قزوین، ایران

تاریخ دریافت: ۱۴۰۴/۱/۲۲ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۷/۲۴

چکیده

تعامل میان تمدن اسلامی و فرهنگ ایرانی در زمینه‌های مختلف، از جمله در علومی چون: فلسفه، تاریخ، جغرافیا، موسیقی، ادبیات و شعر تجلی می یابد. اما این تعامل به ویژه در حوزه زبان برجسته تر و به شکلی ظریف حضور دارد. در گستره ادب پارسی و عربی اشعاری دیده می شود که در آن ها تعامل عناصر فرهنگی عربی- اسلامی و ایرانی با رنگ و بوی انسان‌گرایانه و جهانی عجین شده است و ما مضامین مشترکی را در تصوف، عرفان و اشعار معناگرا در می‌یابیم. همچنین این تعامل منجر به تداخل فراگیر در شعر به عنوان مهمترین عنصر فرهنگی شده است و حتی می‌توانیم درجاتی از همگرایی تمدنی و فرهنگی را در آن ها تشخیص دهیم. مطالعه‌ی هویت نیازمند چارچوب نظری خاصی است که بر معنای در شعر تمرکز داشته باشد. هدف ما از نگارش این مقاله، تحلیل چگونگی تعامل تمدن اسلامی و فرهنگ ایرانی از طریق معنا در شعر قدیم، به ویژه شعر شاعرانی است که در دوره‌ی عباسی به حکمت، عرفان و در کل معنا مشهور بوده‌اند و در این باب از رویکرد بلاغت جدید بهره خواهیم برد. بنابراین، این مقاله با دو محور اصلی پیش می رود: محور اول مربوط به سطح نظری، یعنی بلاغت جدید و نقش آن، و محور دوم مربوط به سطح عملی و کاربرد بلاغت جدید در تحلیل معنا در اشعار حکمی، عرفانی و معناگرا با هدف آشکار کردن نقش زبان و شعر در مطالعه تعامل و همگرایی بین تمدن اسلامی و فرهنگ ایرانی است. همچنین با توجه به اهمیت بکارگیری دیدگاه بلاغت جدید و تحلیلی که برای شعر ارائه می‌دهد، روش ما تحلیلی و نقدی خواهد بود.

کلمات کلیدی: تمدن اسلامی، فرهنگ ایرانی، بلاغت جدید، معنا، همگرایی

* نویسنده مسئول: Email: torkashvand@ikiu.ac.ir